

السماحة مفهومها، وجوانبها في القرآن الكريم

د. مزمل محمد عابدين محمد

أستاذ التفسير المشارك، بجامعة الإمام المهدي/ السودان

Email:mozamil.abdeen194@gmail.com

مجلة دراسات العلوم
الاسلامية

السماحة مفهومها، وجوانبها في القرآن الكريم

د. مزمل محمد عابدين محمد

أستاذ التفسير المشارك، بجامعة الإمام المهدي/ السودان

Email:mozamil.abdeen194@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة الى بيان سماحة ديننا الحنيف في كل جوانب التشريع، وتأتي أهمية الدراسة ليزيل ما ألصقه بعض حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، من بني جلدتنا لم يتفأوا بظلال العلم الشرعي، ولم يتأهلوا بتفسيق المسلمين وتكفيرهم واستحلال دماءهم وأعراضهم، والردّ على الشبهات التي زُمي بها الإسلام من قبل أعدائه لتشويه صورته الناصعة، وقد جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة محاور، وقد خلص البحث في نتائجه إلى أنّ مفهوم السماحة تعني تطبيق الأحكام الشرعية على نهج السنة النبوية، وليس معناه التخلي عن ثوابت الدين، وأنّ الغلو والتطرف سببه عدم فهم نصوص الشرع التي فيه اليسر والسماحة، ومكارم الأخلاق، وسماحة الإسلام مع المخالف مبني على العدل والمعاملة الحسنة والإحسان إليه، بل جعل ذلك دليلاً على التقوى المسلم.

الكلمات المفتاحية: السماحة- التفريط- الغلو

Abstract:

This study aims to demonstrate the tolerance of our true religion in all aspects of legislation, and the importance of the study comes to remove what was attached by some of the foolish tooth talkers of dreams, from among our people who did not fulfill the shades of forensic science, and did not qualify for the corruption of Muslims, their infidelity, the permissibility of their blood and their honor, and the response to the suspicions that Islam was accused of. by his enemies to tarnish his bright image

The study came in an introduction, a preamble, and three axes, and the research concluded in its results that the concept of tolerance means the application of legal rulings on the approach of the Prophet's Sunnah, and it does not mean abandoning the constants of religion, and that extremism and extremism are caused by a lack of understanding of the texts of the Sharia in which there is ease, tolerance, and honorable morals. The tolerance of Islam towards the violator is based on justice and good treatment and benevolence towards him.

Keywords: indulgence - negligence – extremism

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين - وبعد ، فإن سماحة الإسلام وبسر تشريعاته، وموافقتهما للفترة، لا يخفى على كل لبيب، وهي التي كانت داعيةً في دخول كثير من الناس في دين الله أفواجا، ولكن مع ذلك انحرف بعض المنتسبين للإسلام إما مُفْرِط في التشدد أو مُفْرِط في التساهل، وكذلك ما يواجهه الإسلام من تحديات كبيرة وهجمة شرسة على مبادئه، وفي سبيل ذلك تلصق به التهم والشبهات التي هو بريء منها، ووصف أعداء الإسلام له بأنه دين العنف والإرهاب، فكل ذلك يتطلب منا الى إبراز سماحة ديننا الذي وصفه نبي الرحمة - صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»¹ . فكانت هذه الدراسة بعنوان: السماحة مفهومها، وجوانبها في القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تكمن أهميته من حيث الآتي:

- 1- كثرة نسبة الغلو في الآونة الأخيرة إلى منهج أهل السنة فيتعين على أتباع هذا المنهج أن يبرزوا الطبيعة المعتدلة لهذا الدين بين الأديان ولهذا المنهج بين المناهج المبتدعة.
- 2- الكشف عن جذور التطرف، والعنف، والإرهاب، ومعرفة أسبابه هو موضوع الساعة، فهو من أشد الموضوعات خطورة وأثرا، فله أسبابه ودواعيه، فكان لابد من معرفة سماحة الإسلام ، فبصد يُعرف الحقيقة.

مشكلة الدراسة :

تنحصر مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي : ما مفهوم السماحة في القرآن الكريم؟
ويتفرع منه سؤالان :

ما هي جوانب الدين التي ظهرت فيه سماحة الإسلام؟

ما التطبيقات العملية من السنة النبوية للسماحة مع غير المسلمين؟

أهداف الدراسة:

وقد سعي الدارس بدراسته هذه إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. معرفة مفهوم السماحة في القرآن الكريم .
2. إبراز سماحة الإسلام للرد على المشككين لديننا الحنيف، وتبرئته م مما نُسب إليه.
3. إيضاح بعض جوانب الدين التي ظهرت فيه سماحة ديننا.

(1) أخرجه أحمد من طرق فيها مقال (5 / 266).

4. إثراء المكتبات بدراسة مهمة ستكون إحدى اللبنات المساهمة في علاج الفكر الضال.

منهج البحث:

سيتبع الباحث في إعداد هذه الدراسة -إن شاء الله- المنهج الاستباطي الاستقرائي، وذلك باستقراء، واستقصاء جميع الآيات التي تتعلق بهذا الموضوع- ما أمكن -إما بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، وكذلك المنهج التحليلي الوصفي، وذلك عند عرض .

خطة الدراسة:

وقد اشتمل الدراسة على مقدمة تمهيد، وثلاثة محاور وخاتمة، كالاتي:

المقدمة: تكلمت فيها عن أهمية البحث، وتقسيماته.

التمهيد: ذكرت فيها الأدلة على السماح في كتاب الله في باب المأمورات، في باب المنهيات.

المحور الأول: مفهوم السماح

المحور الثاني : السماح وسط بين الغلو والتفريط

المحور الثالث : جوانب من سماحة الإسلام

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

مجلة دراسات العلوم الإسلامية

تمهيد:

النصوص الشرعية التي دلت على سماحة الإسلام:

هناك نصوص من الكتاب والسنة، من كلام أهل العلم تُدَلُّ على سعة رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين وتدل على سماحة هذه الشريعة وعلى المسلمين أن يتقبَّلوها ويأخذوا بها لأن الله يُحِبُّ أن يتقبَّلها المسلمون، وهذه السماح في باب المأمورات والمنهيات ومن تلك النصوص ما يلي :

أولاً: في المأمورات:

1. ففي باب الصيام، قال تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } الآية (البقرة: 185)
2. وفي باب الطهارة، قال تعالى: { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ } الآية (المائدة: 6)
3. وبعد الأمر بزواج المؤمنات، قال تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُم وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا } (النساء: 28)
4. وبعد أن ذكر الأمر بالصلاة وفعل الخيرات والجهاد في سبيله، قال تعالى: { هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } الآية (الحج: 78).

وقيد الله المأمورات بالقدرة والاستطاعة والوسع والطاقة:

5. فقال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } الآية (التغابن: 16)
6. وقال تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (البقرة: 286)

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: (وقد ذكر في الصيام والإحرام والطهارة والصلاة والجهاد من هذا أنواعاً

(يعني من الرخص عند وجود الأعذار والمشقات)¹ .

ثانياً: باب المنهيات :

1. في النهي عن الأكل من الخبائث كالميتة ولحم الخنزير، قال الله تعالى: { وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ } [الأنعام : 119]
2. { فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ } [البقرة : 173]
3. { فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [الأنعام : 145] لقد الله تعالى حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فإذا اشتد الجوع بالمسلم فلم يجد ما يأكل ويسد به رمقه فقد رخص الله له أن يأكل ما وجد منها ولا إثم عليه ولا حرج .
4. المحاسبة بما يوسوس الصدور من الشر ما لم يتكلم به أو يفعله، قال الله تعالى: { لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } [البقرة : 286]
5. وفي النهي عن الظهار، ونسب الرجل إلى غير أبيه ، قال الله تعالى: { وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ } [الأحزاب : 5]
6. وفي التجاوز عن مخالطة مال اليتيم ، قال الله تعالى: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْنَاكُمْ } [البقرة : 220] .

(1) انظر مجموع الفتاوى (50-48/20) .

7. قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 128]، قال ابن عباس: يريد: يعز عليه مشقتكم وكل مضرة تصيبكم¹

وجاء في السنة :

1. حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا: «إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا»²
2. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشدد وطلب الشاق، ويقول: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَىْءٍ مِنَ الدُّجَةِ!"³ .
3. ويقول: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»
4. عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قَالَتْ: فُلَانَةٌ، تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا، قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيفُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا»⁴
5. وعن أبي داود، عن سهل، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تُشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ... الحديث.

وسياقي بقية النصوص في ثنايا البحث إن شاء الله

من أقوال الصحابة:

عن ابن مسعود أنه قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ. فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ الْعَالِمُ لِمَا لَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ. وَعَنْ عُمَرَ قَالَ: هُيِّنَا عَنِ التَّكْلِيفِ»⁵.

(1) التَّفْسِيرُ البَسِيطُ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، (11 / 106)، ومثال شفقتة: (عن عائشة قالت: كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل، فتسامع به الناس فاجتمعوا، فخرج كالمغضب- وكان بهم رحيمًا- فخشى أن يكتب عليهم قيام الليل، فقال: يا أيها الناس؟ اكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإنه الله لا يمل من الثواب، حتى تملوا من العمل، وخير الأعمال ما دتم عليه = ونزل القرآن. يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ... الآية، حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم، فردهم إلى الفريضة، وترك قيام الليل»

(2) رواه مسلم كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية 2 / 1104 (1478)

(3) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم الحديث: 39.

(4) رواه مسلم في صلاة المسافرين باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن رقم

(5)، خَارِيٌّ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكْلِيفِ مَا لَا يَغْنِيهِ / «فتح القدير للشوكاني» (4 / 513).

وقوله: «وما أنا من المتكلمين أن ما جاء به من الدين لا تكلف فيه، أي لا مشقة في تكاليفه وهو معنى سماحة الإسلام»¹.

الخور الأول: مفهوم السماحة

معنى السماحة في اللغة: مادة (سمح) تدل: على سلاسة وسهولة².

والمساحة: المساهلة³. وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»⁴.

معنى السَّماحة في الاصطلاح: تطلق على معنيين:

الأول: بذل ما لا يجب تفضلاً⁵، أو يقال سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء⁶.

الثاني: في معنى التسامح مع الغير، في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور، والملاينة فيها، التي تتجلى في التيسير وعدم القهر

والمساحة في الدين: هو تطبيق الأحكام الشرعية بصورة معتدلة كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من غير تشدد يُجرّم الحلال، ولا تمّيع يُحلّل الحرام. ويدخل تحت هذا المسمى السماحة والسعة ورفع الحرج وغيرها من المصطلحات التي تحمل المدلول نفسه.

ثانياً: ألفاظ ذات صلة بالموضوع

ويدخل تحت المسمى السماحة بعض الألفاظ مثل (اليسر، الرخصة والسعة ورفع الحرج وغيرها من المصطلحات التي تحمل المدلول نفسه).

مجلة دراسات العلوم

- اليسر:

اليُسْر لغة: ضد العُسْرِ. ومنه "الدين يُسْرٌ" أي سهلٌ سمحٌ قليل التشديد¹.

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (23/ 309)

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1402 هـ ج3 ص99.

(3) النهاية في غريب الحديث، مجد الدين ابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ - 1979 م، ج2 ص398.

(4) رواه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، 1/ 22.

(5) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، ص:

1/ 414، والتعريفات للجرجاني ص: 121

(6)، النهاية في غريب الأثر - ابن الأثير، ص: 2/ 990

أما في الاصطلاح: فهو تطبيق الأحكام الشرعية بصورة معتدلة كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من غير تشدد يُحرّم الحلال، ولا تمّيع يُحلّل الحرام.

- الرخصة:

الرخصة في اللغة: التيسير والتسهيل، أو اليسر والسهولة، والرخص ضد الغلاء، وفلان يترخص في الأمر إذا لم يستقص، ويتعدى بالهمزة والتضعيف².

أما في الاصطلاح فقد عرفها البيضاوي بأنها: "الحكم الثابت على خلاف الدليل لعذر"³.

مدلولها: يتحدد مفهوم السماح من خلال معرفة مدلولها اللغوي حيث ذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أن السين والميم والحاء أصل صحيح يدل على سلاسة وسهولة⁴.

- المسامحة:

في اللغة المسامحة⁵ وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: «أحب الدين إلى الله الحنيفة السمحة»⁶. قال ابن حجر: وَالسَّمْحَةُ السَّهْلَةُ أَيَّ أَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى السُّهُولَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ)⁷.

السماحة في الإسلام:

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

(1) المعجم الوسيط، مادة: يسر، (2/1065).

(2) المصباح المنير 1 / 304. القاموس المحيط 2 / 304.

(3) نهاية السؤل 1 / 33

(4) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1402 هـ ج3 ص99.

(5) انظر: النهاية في غريب الحديث، مجد الدين ابن الأثير، دار أنصار السنة، لاهور، دت، ج 2 ص 398.

(6) رواه البخاري معلقا في كتاب الإيمان، باب الدين يسر

(7) فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج 1 ص 94.

تشمل أصول الدين وفروعه عقيدةً وسلوكاً وأخلاقاً، فعقيدة الإسلام سمحة لاغموض فيها ولا لبس، وشريعته سمحة ميسورة، سواءً كانت عبادات أو معاملات ، قال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»¹ ، وسيأتي تفصيل ذلك في محور جوانب السماحة .

المحور الثاني : السماحة وسطاً بين الغلو والتفريط

والسماحة كما جاء في التعريف لا تعني التساهل دون ضابط شرعي يحكمها فهي مرتبطة بالنص وعندما يخلط بعضهم بينها وبين التساهل المذموم فقد يعيب بعض على الآخر ظناً منهم أن في السماحة تفريطاً بأصل الدين ، إن فهم مدلول السماحة وأنها تعني السهولة والمسامحة والمساهلة لا يعني بحال التفريط في شيء من أصول الدين أو فروعه ، كما أن التفريط في فهم سماحة الإسلام وتطبيقها قد يفضي إلى التشديد والتنفير من هذا الدين وقد قال تعالى : { وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ }² ، وقال تعالى : { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ }³ ، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « هلك المنتطعون »⁴ ، قالها ثلاثاً ، والمنتطعون : المتشددون في غير موضع التشديد⁵ .

فهذا الدين جاء ليضع الأصار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالتيسير وينهى عن التعسير .

والسماحة لا تعني الضعف والإسلام يأبى الضيم ويرفض لأتباعه الذل والهوان والمؤمن عزيز بإيمانه وإسلامه قوي بهما ، ومن يظنون السماحة والصفح والحلم والعتو ضعفاً لا يدركون عظمة هذا الدين . والسماحة كبقية المعاني العظيمة التي جاء بها الإسلام كالوسطية والتيسير والعدل والعتو والصفح وغير ذلك لها ضابطها الشرعي الذي إن حادت عنه كانت عقبة كئوداً في فهم طبيعة الإسلام .

المحور الثالث: جوانب من سماحة الإسلام:

الدين الإسلامي قائم على اليسر والسماحة إن الدين الإسلامي بمجملة قائم على اليسر ورفع الحرج ابتداءً من العقيدة وانتهاءً بأصغر أمور الأحكام والعبادات بشكل يتوافق مع الفطرة الإنسانية وتتقبله النفس

(1) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم الحديث: 2076.

(2) سورة الحج ، الآية :78 .

(3) سورة البقرة ، الآية: 185 .

(4) رواه مسلم ، كتاب العلم ، باب هلك المنتطعون ، ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : محمد

فؤاد عبد الباقي ، رقم الحديث : 2670 ، 2055 /4

(5) رياض الصالحين ، النووي ، مكتبة الوراق ، الرياض ، ط 1 ، 1416هـ ، ص 128 .

البشرية من غير تكلف أو تعنت ، وهذا ما أشار إليه نبينا عليه الصلاة والسلام إلى أن من أهم ما تميزت به رسالة الإسلام عن غيرها من الرسالات السماوية السابقة هي السماحة واليسر كما في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة »¹ .

وسماحة الاسلام تتمثل في كل الجوانب الدين ومن ذلك :

سماحة في العقيدة :

إن دين الإسلام دين سماحة ويسر في عقيدته وعباداته ومعاملاته وآدابه وسائر تشريعاته فعقيدته لا تقوم على فلسفة معقدة أو تسليم مطلق أو مخالفة للفطرة والعقل ، فأطلق القرآن الكريم الحرية للمرء للتدبر والتفكر في نفسه ، وفي ملكوت السماوات والأرض ، ودعا الناس إلى الإيمان بالله وحده وفي القرآن الكريم ما لا يحصى من الآيات الداعية إلى الإيمان يستوي في فهمها العامة والخاصة حيث دعت كل أحد إلى التجرد من الهوى والتقليد وخاطبت عقولهم وفطرتهم ، وهي مع ذلك لا تكرههم على الإيمان ، ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنََّّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾² . وفي القرآن العظيم من الآيات الدالة على أن أصحاب العقول السليمة والألباب المستقيمة إذا حكموا عقولهم واستجابوا لفطرتهم وتخلصوا من ربة التقليد فإنهم ينقادون إلى هذا الدين عن طواعية ورغبة .

إن من يقرأ القرآن الكريم يعلم حقيقة السماحة في الإسلام في أعظم قضية جاء بها الإسلام وهي قضية التوحيد فيعرض لها القرآن بأسلوب سمح سهل يدرسه كل عاقل ويستدل على حقائق الإيمان بما يحسه الناس ويدركونه بأيسر طريق .

وعبر تاريخ دولة الإسلام كان يعيش في داخلها غير المسلمين في مراحل قوتها وضعفها ، فلم يجبروا على ترك معتقداتهم أو يكرهوا على الدخول في الإسلام ، والقاعدة العظمى في الإسلام أن لا إكراه في الدين ، ولذا فقد عاش الذميون وغيرهم في كنف دولة الإسلام دون أن يتعرض أحد لعقائدهم ودياناتهم³ .

(1) رواه البخاري ، رقم 39.

(2) سورة الكهف ، الآية : 29 .

(3) انظر : تلبيس مردود في قضايا حية ، صالح بن حميد ، مكتبة المنارة ، مكة ، ط 1 ، 1412 هـ ص 30 .

إن الإسلام لم يرقم على اضطهاد مخالفه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض¹.

ومن المقرر عند الفقهاء أنه لو أكره أحد على الإسلام فإنه لا يصح إسلامه . قال في المغني : " وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن فأسلم لم يثبت له حكم الإسلام حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعاً"²

سماحة في العبادة :

وإذا ما انتقل المرء إلى العبادات فإنه سيرى فيه صوراً من سماحة الإسلام ويسره في سائر العبادات ففي الطهارة جاء التيسير والسماحة في المسح على الخفين وفي التيمم قال صلى الله عليه وسلم : « وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً »³ ، ودعا الله تعالى عباده إلى شكر هذه النعمة قال تعالى في ختام آية الوضوء ومشروعية التيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله : { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }⁴ ، قال ابن كثير⁵ رحمه الله : " أي لعلكم تشكرون نعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والرأفة والرحمة والتسهيل والسماحة "⁶ .

وفي الصلاة يصلحها المرء بحسب قدرته قائماً أو قاعداً وفي أي مكان وشرع فيها الجمع والقصر عند السفر والجمع عند الحاجة ، وفي الصوم كالتيسير على المريض والمسافر وكذا بقية أركان الإسلام فالزكاة على من ملك نصاباً وحال عليه الحول ، والحج مرة في العمر لمن استطاع .

(1) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، محمد الغزالي ، دار التوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 1409هـ ، ص 6

المغني ، ابن قدامة ، دار هجر ، القاهرة ، تحقيق : د عبد الله التركي ، د عبد الفتاح الحلوطي 2 ، 1412هـ ج 12 ص 291 .⁽²⁾

(3) رواه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً رقم الحديث : 328 . و أخرجه مسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم 521

(4) سورة المائدة ، الآية : 6 .

(5) هو : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي ، أبو الفداء ، عماد الدين : حافظ مؤرخ فقيه . ولد في قرية من أعمال بصرى الشام (701هـ) ، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706 هـ ورحل في طلب العلم . وتوفي بدمشق . تناقل الناس تصانيفه في حياته .

من كتبه (البداية والنهاية) و (شرح صحيح البخاري) لم يكمله ، و (طبقات الفقهاء الشافعيين) و (تفسير القرآن الكريم) و (الاجتهاد في طلب الجهاد) توفي رحمه الله : (774 هـ)

(6) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، (3 / 53) .

وشريعة التبعيد في الإسلام لا تقتصر على عمل دون آخر بل كل عمل يقوم به العبد عبادة فهو يمحيط الأذى عن الطريق عبادة واللقمة يضعها في فم زوجته عبادة ويمسك لسانه عن قول الغيبة والكذب عبادة ويكرم ضيفه عبادة ويعود المريض عبادة ويقوم بكل فعل جميل مما هو مشروع لنفسه أو لغيره ويكون له عبادة وكل عمل أريد به وجه الله فهو عبادة¹.

وفي مجال البيع والشراء فقد قال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»²

وبوّب البخاري رحمه الله للسماحة في هذا الحديث بالسهولة فقال: باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، قال ابن حجر: "وفي الحديث: الحث على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم"³.

السماحة في الإسلام في إقامة الحدود (حد الزنى)

من سماحة الإسلام ويسره أنه اشترط في تطبيق حد الزنا شروطاً من الصعب تحقيقه إلا نادراً حتى ثبت الجريمة، وقد خفف عن غير المحصن في حده، وجعل على المحصن أعلى العقوبة لسوء أخلاقه، وفساد طويته، وضرره على المجتمع، من أمثلة هذه السماحة في حد الزنى ما يلي:

1. من يسر الإسلام وسماحته في إنفاذ العقوبة على الزاني أنه طلب شهادة أربعة أشخاص على الفاحشة، وهذا من باب التحري الزائد، وتجنباً لتطبيق العقوبة.

2. جعل لمن لا يأتي بأربعة شهود عقوبة القذف، وحتى لا يقع الناس في أعراض غيرهم،

يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ⁴ (النور: 49).

3. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحاول أن يجد له العذر حتى يرجع عن إقراره فقد جاءه ماعز فقال "طهرني".

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه» قال: فرجع غير بعيد. ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني. فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك. حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فيم أطهرك؟» فقال: من الزنى. فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبه جنون؟» فأخبر أنه ليس

(1) انظر: الموسوعة في سماحة الإسلام، محمد الصادق عرجون، الدار السعودية، جدة، ط 2، 1404هـ ج 2 ص 682.

(2) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رقم الحديث: 2076.

(3) فتح الباري، ابن حجر، ج 4 ص 207

(4) اليسر والسماحة في الإسلام، اليسر والسماحة في الإسلام، فالح بن محمد الصغير (ص 41)

بمجنون. فقال: «أشرب خمرا؟» فقام رجل فاستنكهه¹ ، فلم يجد منه ريح خمر. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أزيت؟» فقال: نعم. فأمر به فرجم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه: «لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم»².

4. أنه لا يقيم الحد على الحبلى حتى تضع مولودها، وحتى يضمن الإسلام من يتكفله بعدها، فقد جاءته امرأة من غامد من الأزدي، فقالت: يا رسول الله، طهرني، فقال: «ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه» فقالت: أراك تريد أن ترددي كما رددت معايز بن مالك، قال: «وما ذاك؟» قالت: إنما حبلت من الزنى، فقال: «أنت؟» قالت: نعم، فقال لها: «حتى تضعي ما في بطنك»، قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال: فأنتي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «قد وضعت الغامدية»، فقال: «إذا لا ترجمها وتدع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه»، فقام رجل من الأنصار، فقال: إني رضاعه يا نبي الله، قال: فرجمها³.

ومن هذه النماذج نجد أن الرحمة سمة بارزة من سمات التشريع الإسلامي الخالد، فما من حكم تشريعي، من تحليل أو تحريم، ترغيب أو تهيب، ثواب أو عقاب إلا وفيه مصلحة دينية ودنيوية، في معاشنا ومعادنا، وفيه يسر لا عسر {والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً} (27) يريد الله أن يخفف عنكم وحلق الإنسان ضعيفاً { [النساء: 27-28].

السماحة في معاملة أهل الكتاب، وغيرهم:

تتجلى صور عظيمة من السماحة مع أهل الكتاب في المعاملة والدعوة ، فلقد بنى الإسلام شريعة التسامح في علاقاته على أساس متين فلم يضق ذرعا بالأديان السابقة ، وشرع للمسلم أن يكون حسن المعاملة رقيق الجانب لين القول مع المسلمين وغير المسلمين فيحسن جوارهم ويقبل ضيافتهم ويصاهرهم حتى تختلط الأسرة وتمتزج الدماء⁴ .

مجلة دراسات العلوم
الاسلامية

(1) فاستنكهه: شم رائحته.

(2) رواه مسلم في صحيحه برقم 4420، ص 750

(3) رواه مسلم في صحيحه برقم (1695)، (3/ 1322)

(4)(4) انظر : من روائع حضارتنا ، مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي بيروت ط 1420 ، ص 133

وشرع الإسلام مواساة غير المسلمين بالمال عند الحاجة فشرع للمسلم أن يعطيهم من الصدقة ويهدى إليهم ويقبل هديتهم ويواسيهم عند المصيبة ويعود مريضهم ويهتئهم بما تشرع فيه التهتئة كالتهتئة بالمولود والزواج ويناديهم بأسمائهم المحببة إليهم تأليفا لهم¹ .

ومن سماحة الإسلام في المعاملة أن شرع العدل مع المخالف وجعل ذلك دليلا على التقوى التي رتب عليها أعظم الجزاء قال تعالى : { يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ }² .

ولذا فإن من يتأمل أحكام الإسلام وتاريخ المسلمين يجد أنه لا يمكن أن يقوم مجتمع تحترم فيه الحقوق والواجبات كما في دولة الإسلام ، وفي أوج عزة دولة الإسلام وقوتها كان يوجد من غير المسلمين العلماء والأدباء والأطباء والناخبون في مختلف الفنون والأعمال ، وهل يمكن أن يكون هؤلاء ظهور ونبوغ في أعمالهم لولا سماحة الإسلام ونبذه للتعصب الديني .

بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، وهو صلى الله عليه وسلم يعلم أمته كيفية التعامل مع الناس بمختلف أجناسهم وأعمارهم وألوانهم ، مسلمين وغير مسلمين ، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا »³ ، قال النووي⁴ : " أي سهل الخلق كريم الشمائل لطيفا ميسرا في الخلق " ⁵ .

وفي الصحيح عن عائشة⁶ رضي الله عنها قالت : « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه

(1) انظر تفصيل ذلك في : دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، عبد الله اللحيان ، مطابع الحميضي ، الرياض ط 1 ، 1420 هـ ص 148 - 178 .

(2) سورة المائدة ، الآية : 8 .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، رقم الحديث : 1213 .

(4) النووي : يحيى بن شرف بن مري النووي ، الدمشقي ، الشافعي فقيه محدث ، حافظ ، لغوي ، شارك في بعض العلوم ، ولد بنوى من أعمال حوران محرم 631هـ ، من تصانيفه الكثيرة ، الأربعون النووية في الحديث ، روضة الطالبين وعمدة المفتين في فرع الفقه الشافعي . توفي بنوى في رجب 677هـ ، أنظر : معجم المؤلفين ، كحالة (202/13) .

(5) انظر شرح صحيح مسلم (المنهاج) ، النووي ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 160/8

(6) عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأشهر نسائه وأمها أم رومان تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بسنتين وهي بكر وكان عمرها لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين وقيل : سبع سنين . وبني بها وهي بنت تسع سنين بالمدينة

إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بما «¹. يمثل هذه القيم كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، يسر في كل شيء ، وذود عن حرمة الله لا عن عرض الدنيا أو أهواء النفوس .

التطبيقات العملية من السنة النبوية للسماحة مع غير المسلمين:

في المدينة النبوية حيث تأسس المجتمع الإسلامي الأول وعاش في كنفه اليهود بعهد مع المسلمين وكان صلى الله عليه وسلم غاية في الحلم معهم والسماحة في معاملتهم حتى نقضوا العهد وخانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما من يعيشون بين المسلمين يحترمون قيمهم ومجتمعهم فلهم الضمان النبوي ، فقد ضمن صلى الله عليه وسلم لمن عاش بين ظهرائي المسلمين بعهد وبقي على عهده أن يحظى بمحاجة النبي صلى الله عليه وسلم لمن ظلمه فقال صلى الله عليه وسلم : « ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة »^{2 3}.

وتعدد صور السماحة في هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين وشواهد ذلك من سيرته لا تحصر وأذكر منها ما يلي:

1. تجاوزه عن مخالفته ممن ناصبوا له العداة فقد كانت سماحته يوم الفتح غاية ما يمكن أن يصل إليه صفح البشر وعفوهم فكان موقفه ممن كانوا حربا على الدعوة ولم يضعوا سيوفهم بعد عن حربها أن قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء »⁴.
2. دعاؤه صلى الله عليه وسلم لمخالفه من غير المسلمين فقد قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا: « يا رسول الله إن دوساً قد كفرت وأبت فادع الله عليها ، فقيل : هلكت دوس - ظنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما رفع يديه للدعاء عليها - فقال صلى الله عليه وسلم : (اللهم اهد دوساً وائت بهم) »¹.

، وقال " فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " اسدالغابة لابن أثير/6/188 والاصابة/4/349

- (1) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : 3367 ، ورواه مسلم في الفضائل باب مبادئه صلى الله عليه وسلم للأثام . رقم 2327 .
- (2) رواه أبو داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في تعشير أهل النمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ، رقم الحديث : 3052 وصححه الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، الألباني ، المكتبة الإسلامية ، بيروت ، ط 1 ، 1409هـ ، ج 2 ص 59 .
- (3) سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين إعداد ، د. عبد الله بن إبراهيم اللحيان / مصدر الكتاب : موقع الإسلام
- (4) السيرة النبوية ، ابن هشام ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1415هـ ، ج 4 ص 61 .



3. ودعا صلى الله عليه وسلم لأم أبي هريرة قبل إسلامها فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوها يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي قلت : يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم اهد أم أبي هريرة) ، فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو محجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت : مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء قال فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت : يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وأنا أبكي من الفرح »² . . الحديث .
4. وجاء الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : « يا رسول الله ادع الله على ثقيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم اهد ثقيفا) ، قالوا يا رسول الله ادع عليهم فقال : (اللهم اهد ثقيفا) ، فعادوا فعاد فأسلموا » فوجدوا من صالحى الناس إسلاما ووجد منهم أئمة وقادة³ .
5. ومن صور الدعاء ما كان من اليهود حيث كانوا يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول لهم يرحمكم الله فلم يرحمهم من الدعوة بالهداية والصلاح ، فكان يقول : « يهديكم الله ويصلح بالكم »⁴ .
6. قبوله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدايا من مخالفيه من غير المسلمين « فقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم في خير حيث أهدت له شاة مشوية قد وضعت فيها السم »⁵ .
7. أمره عليه الصلاة والسلام الصحابة بصلة الأرحام وإن كانوا غير مسلمين:

كان صلى الله عليه وسلم من هديه أنه يأمر بصلة القريب وإن كان غير مسلم فقال لأسماء¹ بنت أبي بكر رضى الله عنهما : « صلي أمك »² . وقد قرر الفقهاء قبول الهدايا من الكفار بجميع أصنافهم حتى أهل الحرب

مجلة دراسات العلوم الإسلامية

- (1) رواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهم ، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطى ، رقم الحديث : 2524 ، 4 / 1957
- (2) رواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهم ، باب من فضائل أبي هريرة رضى الله عنه رقم الحديث : 2491 ، 4 / 1938
- (3) تاريخ المدينة ، ابن شبة ، دار العليان ، بريدة ، ط 1 ج 2 ص 98.
- (4) رواه البخاري في الأدب المفرد ، باب إذا عطس اليهودي ، رقم (940) وصححه الألباني ، انظر : صحيح الأدب المفرد ، الألباني ، ص 348 رقم الحديث : 723
- (5) رواه البخاري ، كتاب الهبة ، باب قبول الهدية من المشركين ، رقم الحديث : 2474 ، ورواه مسلم في السلام باب السم رقم 2190

قال في المغني : "ويجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب لأن النبي صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس صاحب مصر" ³.

السماحة في الدعوة :

والمتمعن في السيرة النبوية يجد أن سلوك النبي صلى الله عليه وسلم وتعامله مع صحابته مبني على منهج التيسير والسماحة ، والشواهد أكثر من أن تعد أو تحصى ، ولكن نكتفي بسررد حادثة وقعت لأحد الصحابة وجاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، يريد مخرجاً لها وهو صحابي فقير لا يملك قوت يومه ، وهي تغني عن جميع ما كان يقع للصحابة من إخراجات .

يقول أبو هريرة ⁴ رضي الله عنه: « بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت ، قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا ، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا ، فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكينا؟ قال: لا ، قال: فمكث النبي صلى الله عليه وسلم فبينما نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر - والعرق: المكتل - قال: أين السائل؟ فقال: أنا ، قال: خذها فتصدق بها فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك » ⁵.

سماحة الإسلام وإحسانه في حالة الحرب:

(1) أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، من قریش: صحابية، من الفضليات، آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة، وهي أخت عائشة لابيها، وأم عبد الله بن الزبير. الأعلام للزركلي، 305 / 1

(2) رواه البخاري ، كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين ، رقم الحديث : 2477 . ، ورواه مسلم في الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين . . رقم 1003 .

(3) المغني ، ابن قدامة ، ج 13 ص 200 .

(4) أبو هريرة : عبد الرحمن بن صخر الدوس أبو هريرة كنيته أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضياً بشبع بطنه وكان من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي سنة 67 وقيل 58 ، وقيل 59 أنظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر دار الكتاب العربي ، بيروت ، 200/4 . والاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر القرطبي 200/4 .

(5) صحيح البخاري ، رقم 1834 ، 2 / 684 . ورواه مسلم في الصيام باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان . . رقم 1111 .

نهى الإسلام عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة وأهل الصوامع والبيع الذين لا اعتداء من ناحيتهم ولا خطر من بقائهم فكان رسولنا (إذا أرسل جيشاً أو سرية يوصيهم بالإحسان والتسامح والرحمة بالنساء والضعفاء .

ففي الصحيح عن بريدة¹ رضي الله عنه قال كان رسول الله (إذا أمر أميراً على جيشٍ أو سريةٍ، أوصاه في خاصّته بتقوى الله تعالى ومنّ معه من المسلمين خيراً، ثم قال: "اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا.. " الحديث²

وهكذا كان الخلفاء الراشدون، من بعده ؛ فهذا (أبو بكر رضي الله عنه) وقد وبعث أوصى جيش أسامة فقال: (يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فأحفظوها عني: «لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلَا صَبِيًّا، وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا تُحْرِقَنَّ عَامِرًا، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، إِلَّا لِمَا كَلَّتْ. وَلَا تُحْرِقَنَّ نَخْلًا، وَلَا تُعْرِقَنَّه، وَلَا تُغْلَلْ وَلَا تَجْبُنْ) الخ ما ذكره رضي الله عنه³ .

الخاتمة:

من خلال هذا السرد الموجز عن سماحة الإسلام ويسره في تطبيق الأحكام والقيام بالعبادات وغيرها،

نخلص إلى بعض النتائج والوصايا التي نجمعها فيما يأتي:

أولاً: أهم النتائج:

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

1. أنّ مفهوم السماحة تعني تطبيق الأحكام الشرعية بصورة معتدلة ، من غير تشدّد يُحرّم الحلال ، ولا تمّيع يُحلّل الحرام.
2. أنّ علاج الانحرافات، والغلو والتطرف يكمن في الرجوع إلى فهم القرآن الكريم كما فهمه السلف الصالح.
3. أنّ مبدأ اليسر والسماحة ثابت في هذا الدين، وهو مقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية، وهو يشمل جميع جوانب الدين.

(1) بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ (صحابي): أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ أَبُو سَهْلٍ، بَرِيدَةُ بْنُ الْحَصِيبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيِّ، قِيلَ إِنَّهُ أَسْلَمَ عَامَ الْهَجْرَةِ، وَشَهِدَ غَزْوَةَ خَيْبَرَ وَالْفَتْحَ وَكَانَ مَعَهُ اللَّوَاءُ، اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى صَدَقَةِ قَوْمِهِ، نَزَلَ مَرَّةً، وَسَكَنَ الْبَصْرَةَ مَدَّةً، ثُمَّ غَزَا خِرَاسَانَ زَمَنَ عَثْمَانَ، ت: 62هـ وقيل: 63هـ . ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب 1/185، سير أعلام النبلاء 2/469، الإصابة في تمييز الصحابة 1/286، 2 الأعلام للزركلي / 50

(2) رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث، ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها. (1731) ،

(3) رواه مالك في الموطأ - كتاب الجهاد باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو رقم (10). ورواه البيهقي في السنن الكبرى (89/9).

4. سماحة الإسلام مع المخالف مبني على العدل والمعاملة الحسنة والإحسان اليه، وجعل ذلك دليلاً على التقوى المسلم.

5. النموذج النبوي الشريف فيه أروع الأمثلة في التسامح والتعايش مع المخالفين للإسلام.

ثانياً: التوصيات:

يُوصي هذا البحث بعناية المتخصصين بالدراسات القرآنية، دراسة القيم التربوية في القرآن الكريم، وإبراز منهج الوسطية فيه، فإنه بحاجة إلى بحوث كثيرة جداً في جميع مجالات الحياة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م
2. تاريخ المدينة ، ابن شبة ، دار العليان ، بريدة ، ط 1.
3. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
4. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
5. تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت.
6. تلبس مردود في قضايا حية ، صالح بن حميد ، مكتبة المنارة ، مكة ، ط 1 ، 1412 هـ ص 30 . التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، محمد الغزالي ، دار التوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 1409 هـ .
7. التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق .
8. دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، عبد الله اللحيان ، مطابع الحميضي ، الرياض ط 1 ، 1420 هـ.
9. رياض الصالحين ، النووي ، مكتبة الوراق ، الرياض ، ط 1 ، 1416 هـ .
10. سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين إعداد ، د. عبد الله بن إبراهيم اللحيان، موقع الإسلام.
11. السيرة النبوية ، ابن هشام ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1415 هـ .

12. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، البخاري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م >
13. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، ط: المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر المحمية، عام ١٣١١ هـ.
14. صحيح مسلم، ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.
15. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
16. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
17. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
18. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعة من العلماء، دار الدعوة
19. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مكتبة الخانجي، مصر، ط 3، 1402 هـ.
20. المعني، ابن قدامة، دار هجر، القاهرة، تحقيق: د عبد الله التركي، د عبد الفتاح الحلو ط 2، 1412 هـ.
21. من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي بيروت ط 1 1420 .
22. المنهاج، شرح صحيح مسلم النووي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.
23. الموسوعة في سماحة الإسلام، محمد الصادق عرجون، الدار السعودية، جدة، ط 2، 1404 هـ.
24. الموطأ: مالك بن أنس، صححه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.
25. نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
26. النهاية في غريب الحديث، مجد الدين ابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ - 1979 م.